عام

نظرات في معوقات التواصل الثقافي

علي بن مبارك
باحث تونسي

قسم الدراسات الدينية

جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث
All rights reserved
Mominoun Without Borders

على سبيل التقديم:

إنّ الحديث في مجال "حوار الثقافات" يعدّ مجازفة لعدّة اعتبارات، لعلّ أهمّها كثرة ما كُتِب في هذا المشغل؛ فكلٌّ يتحدّث عن حوار الثقافات، إمّا متحمّسا متعاطفا أو منتقدا متذمّرا وأحيانا محلّلا متدبّرا. ولا غرابة أن يشكّل هذا الموضوع جزءا مهما من رصيد مكتبتنا العربية، وأن يستأثر باهتمام أغلب مواقع الواب العربية والعالمية المختصّة والجامعة.

وما هذا الاهتمام الكبير إلاّ تواصل لخواطر شغلت بال المثقّف العربي منذ عصر النهضة،[1] مرورا بفترة الاستعمار ثمّ الاستقلال الوطني، حين اكتشف الفجوة الحضارية التي أصبحت تفصلنا عن العالم الأوروبي المتقدّم. وتعامل المفكرون المسلمون مع هذا الآخر الوافد بطريقتين مختلفتين، مازالت تداعياتهما إلى يومنا هذا؛ فمنهم من أقبل عليه إقبال المعجب الولهان؛ ومنهم من أدبر ورفض الآخر واعتبره شرّا وكفرا. وبين هذا وذاك ظهر موقف معتدل، حاول أن يتعامل مع الآخر بنظرة نقدية واقعية، وأن يستحضر التراث بمنهج عقلانيّ مسؤول.

ولعلّ ما يؤكّد ضرورة الحوار اليوم، هو ما تواتر من أحداث وبيانات مضادّة وتّرت العلاقات، وعرقلت مساعي الحوار بين العرب والمسلمين من جهة، والغربيين من جهة أخرى. ولتقريب وجهات النظر بين مختلف الثقافات، انعقدت ملتقيات وندوات نظّمتها مؤسّسات حكومية رسمية[2] أو منظمات مدنية وبحثية[3]. ولعلّ أهمّ هذه المبادرات ما أشرفت على تنظيمها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم[4]. ولكنّ المفارقة تكمن في أنّ كثرة الحوارات لم تحل دون تواصل العنف بكلّ مستوياته، ولم تقرّب بين الثقافات المتنوّعة والديانات المختلفة، بل نلاحظ، كما لاحظ المشاركون، في مؤتمر باريس للحوار الثقافي الأوروبي،[5] حين عبّروا **"عن انشغالهم العميق بتنامي ظواهر التطرّف والإرهاب وعدم التسامح وتزايد الانغلاق على الذات وإقصاء الآخر. ومن المفارقات أن يكون ذلك في عصر حققت فيه الإنسانية، من وسائل الاتصال وأسباب التعارف والتقارب، ما لم يسبق له مثيل في تاريخها"**[6]. هذه المفارقة تدفعنا إلى التساؤل عن المعرقلات التي حالت دون تحوّل هذه البادرات الحوارية إلى ثقافة وسلوك يمارسه الأفراد والجماعات على حدّ السواء. وهذا الحصر للمعرقلات – إن تيسّر لنا تحقيقه- سيدفعنا إلى استشراف الآفاق وتحسّس الحلول. وسنعتمد في هذا

---

[1]- نجد ذلك خاصّة عند الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده...

[2]- نقصد بالرسمية الملتقيات التي أشرفت عليها الحكومات أو المنظمات التابعة لها، وهي ملتقيات كثيرة ومتنوعة.

[3]- أشرفت بعض المنظمات والجمعيات ومراكز البحوث على ملتقيات حوار بين الثقافات، وهي ملتقيات لا تقلّ أهمية على الملتقيات الرسمية.

[4]- لقد عقدت المنظمة (الألكسو) عدّة ندوات في إطار الحوار مع بقية الثقافات الأوروبية والآسيوية والإفريقية والأمريكية اللاتينية...ويمكن أن نطّلع على أعمال هذه الملتقيات بتصفّح موقع المنظّمة والنقر على نافذة " حوار الثقافات"http://www.alecso.org.tn

[5]- انعقد هذا المؤتمر في 16 يوليو (جويلية) 2006

[6]- المرجعيات والانجازات، ص ص 57-58

التحسس ما صرّح به المشاركون في بعض ملتقيات الحوار،[7] لأنّهم عايشوا لحظة الحوار ووقفوا عند صعوباته، وهم يتحاورون.

إنّنا سننطلق في تناولنا لهاتين القضيتين المتعلقتين بحوار الثقافات: الصعوبات والآفاق من مصادرة بديهية لا نشكّ في صدقها، تؤكّد أنّ الثقافة العربية الإسلامية ثقافة تسامح وانفتاح وتنوّع، وأنّ تراثنا الديني الإسلامي والمسيحي[8] يشجّع على الحوار بكلّ أنواعه[9]، بل يوجبه في بعض الأحيان. ولذلك نعتقد أنّ حوار الثقافات متجذّر في حضارتنا، ممّا يجعل حديثنا عن تذليل الصعوبات المتعلّقة به واستشراف آفاقه حديثا مشروعا ومتأسِّسًا.

1- الصعوبات

إنّ الحديث عن صعوبات تتعلّق بحوار الثقافات، ليس من باب تعطيله والتأكيد على عسره، أو استحالته كما يفعل رافضو الحوار ومنتقدوه، بل سنتناول هذه الصعوبات في إطار تنزيل الحوار حيّز الواقع والتاريخ، ممّا يجنّبنا المواقف الانفعالية المثالية، سواء كانت متحمّسة أو رافضة. وحتّى يكون عملنا واضحا ومنظّما، سنصنّف هذه الصعوبات بحسب طبيعتها، وسنركّز على ثلاثة أصناف منها: الصعوبات المعرفية، والصعوبات التاريخية، والصعوبات السياسية.

أوّلا: الصعوبات المعرفية

لقد استهللنا هذا المبحث بهذا الضرب من الصعوبات، نظرا لأهميته وخطورة انعكاساته على الأفراد والمجموعات. لعلّ أخطر هذه الصعوبات المعرفية جهلنا بأنفسنا وبالآخر في نفس الوقت، في عصر هيمنت فيه سلطة المعلومات وتيسّرت في مسالك تحصيلها.

لقد لاحظنا من خلال أعمال بعض ندوات الحوار، ومن خلال المشهد الثقافي العربي والإسلامي، أنّ الإنسان العربيّ المسلم مازال يتعطّل في فهم ذاته وتبيّن حقيقة هويته، بل نجده يعيش اغترابا يحول دون فهم واقعه بكلّ متغيّراته ورهاناته.

---

[7]- من الصعب في هذا المجال الضيّق حصر كلّ الملتقيات والندوات، التي اهتمّت بالحوار بين الثقافات وبين الشرق والغرب وبين الديانات ...نظرا لكثرتها وعدم التنسيق فيما بينها على المستويين العربي والإسلامي، بل أحيانا على مستوى القطر الواحد.

[8]- * لقد أقرّ القرآن بمشروعية الاختلاف والتنوّع، وجعل منه آية من آياته " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ" (الروم:22) وكذلك " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ "(هود 118) كما دعا إلى حسن المحاورة " وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (الإسراء: 53) وكذلك " وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"(النحل: 125)

* الكتاب المقدّس بدوره شجّع على الحوار، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة، من بينها دعوته إلى تلاميذه بأن يتّصلوا بالناس، حيث جاء في إنجيل متى: 10-17 "وستسافرون إلى الولاة والملوك من أجلي لتشهدوا أمامهم وأمام الوثنيين" ....

[9]- الحوار يمكن أن يكون حوارا داخليا بين الإنسان ونفسه أو بين مختلف التوجّهات المكوّنة للثقافة الواحدة، وقد يتعلّق بحوار من يخالفنا الدين أو اللغة والثقافة أو الحيز الجغرافي أو كلها مجتمعة.

ومن أخطر علامات جهلنا بذاتنا، ظلمنا لأسلافنا وتعسّفنا على مرجعياتنا الثقافية السامية، وآية ذلك أنْ نشرّع للعنف والإقصاء والتكفير، اعتمادا على تأويل آيات أو أقوال رجال خدموا الحوار وعاشوه.

ولقد أثبتت التجارب البشرية المتنوّعة، أنّنا نحتاج أحيانا إلى الآخر، حتى نتنبّه إلى بعض خصوصياتنا الثقافية، ويعرّفنا بواقعنا الذي يحيط بنا. ولذلك، يلجأ البعض – وربّما اضطرارا- إلى المستشرقين[10] لفهم محطّة من محطّات ثقافتنا العربية الإسلامية، كما يستأنس آخرون بمراكز بحوث غربية رسمية، وخاصّة ليظفر بمعلومات تهمّ واقعنا الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي، وتساعدنا على استشراف ملامح مستقبلنا على ضوء التغيّرات والتطوّرات.

إنّ جهلنا بذاتنا حال دون تقديم صورة واضحة عن ثقافتنا في لقاءاتنا مع من يخالفنا الثقافة والدّين. ولذلك، نجد صورا متباينة للعربي المسلم في المخيال الأوروبي والأمريكي، أسهم الكسل الإعلامي العربي والتراكمات التاريخية في تثبيتها وتواصلها عبر الأجيال. ولكم كرّس هذا المخيال **"صورة[11] العربي المتوحّش الشبق الذي لا يقيم حرمة للأديان"**.[12]

فنحن المسؤولون الرئيسيون على تواجد هذه الصورة وتواصلها، من خلال ما نعلنه من أفكار، وما ننجزه من ممارسات تجلب في أغلب الأحيان الكراهية والعداوات. ولم نستطع إلى حدّ الآن أن نوظّف الثورة التكنولوجية الهائلة في مجالات المعلومات والاتصال، في التعريف بأنفسنا حق التعريف، نظرا لهيمنة عقلية الاستهلاك الثقافي، وتوريد المعلومات دون تصنيعها وتصديرها. لذلك، نجد أغلب المواقع الثقافية تقليدية من حيث المحتوى، وأحادية اللغة، ولا تضع ضمن أهدافها إستراتيجية التعريف بثقافتنا الأصلية، بعيدا عن كلّ تحريف وتعصّب.

هذا الجهل بالذات يدعمه جهل بالآخر، لا يقلّ خطورة عن جهل الآخرين بنا؛ فنحن لا نعرف عن ثقافة الآخرين بكلّ تجلّياتها اللّغوية والإبداعية والدينية والاجتماعية والاقتصادية إلاّ ما ندر. وبقدر ما نجد داخل الفضاء الأوروبي من يعرف الثقافة العربية الإسلامية وواقعها المعاصر، معرفة عميقة ومتخصّصة، يندر أن نجد من بين العرب المسلمين من يعرف حقّ المعرفة تاريخ الثقافة الغربية ومختلف روافدها الفكرية والدينية،

[10]- المستشرق هو من اهتمّ بالشرق موضوعا لبحوثه ودراساته، ويمكن أن نميّز بين ثلاثة أصناف من المستشرقين: الصنف الأوّل تحامل على الإسلام وثقافات الشرق وقرنها بالتخلّف وشرّع للاستعمار، وصنف ثان تحمّس للشرق وانبهر بسحره وحضاراته. أمّا الصنف الثالث، فقد حاول أن يكون موضوعيا.

[11]- يمكن أن نتعمّق أكثر في تبيّن ملامح هذه الصورة من خلال العودة لمقال " دور وسائل الإعلام في معرفة الآخرين: صورة العالم العربي في وسائل الإعلام الغربي " لهيرفي بورج و" الذات والآخر ...تحوّلات الصورة النمطية" لمحي الدين اللاذقاني، من خلال وقائع المؤتمر العربي الأوروبي للحوار بين الثقافات، باريس 15-16 يوليو 2002، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس (2002)

[12]- محي الدين اللاذقاني، الذات والآخر ...تحوّلات الصورة النمطية، وقائع المؤتمر العربي الأوروبي للحوار بين الثقافات، باريس 15-16 يوليو 2002، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس (2002)

وتطوّراتها في علاقتها بالنظم السياسية والاقتصادية البائدة والسائدة. ولئن حاول حسن حنفي[13] أن يقتحم عالم الاستغراب،[14] إلاّ أنّ محاولته لم تكن غير "مقدّمة" لم تتجاوز حيّز التقديم والإقدام.

إنّ ما يتلقّاه التلميذ أو الطالب من معارف، بطريقة نظامية أو حرّة، لا تؤسّس تصوّرا متكاملا وموضوعيا، يعكس حقيقة الآخر ثقافيا ودينيا واجتماعيا وسياسيا، ممّا ينتج عن ذلك أمّية[15] تضاف إلى أمّيات أخرى يعاني منها العقل العربي. والملاحظ – على سبيل المثال - أنّ **"الاهتمام بالمسيحية واليهودية غائب تماما في الفكر العربي الإسلامي، وهو بمثابة الأرض المجهولة لأسباب تتصل في ذات الوقت برواسب ثقافية، كما تتصل بحكم مسبق شاذ، يتمثّل في التساؤل عن جدوى فهم أديان "مزوّرة"، محكوم عليها بالزوال"**[16].

إنّ الحوار الثقافيّ الناجح والمفيد يتطلّب – فيما نرى – معرفة دقيقة بالطرف الذي نزمع محاورته، فلا بدّ من معرفة تاريخه وحاضره ومنشوده في كلّ مجالات الثقافة بمفهومها الواسع. ولا ننكر أن شريحة واسعة من المجتمعات الغربية مازالت بدورها تجهلنا، ولكنّ الغرب نجح على الأقلّ في تأسيس تقليد جامعي، يهتمّ بحضارة المسلمين منذ نشوء الجامعات الأولى.

وقد لا نبالغ، إذا اعتبرنا معرفة الآخر شرطا أساسيا لمعرفة الذات وبنائها بناءً قويما، ولنا في تجربة المسلمين القدامى خير دليل؛ فانفتاحهم على الثقافات الأخرى اليونانية والفارسية والهندية... واستيعابهم لها وطّد علاقتهم بهويتهم، وأنضج تجربتهم الفكرية والحضارية، ودعّم وجودهم التاريخي.

ونعتقد أن عدم تعلّم اللّغات الأجنبية، وعدم القدرة على توظيفها، من الأسباب التي أفرزت هذه الصعوبات المعرفية. فاللغة، كما يؤكد أهلها، ليست مجرّد أداة تواصل، بل هي منظومة معقّدة، تعكس الفكر وتجلّياته، وتختزل الماضي بكلّ تحوّلاته، وتكشف عن الحاضر برهاناته. لذلك كان المدخل اللغوي مدخلا محوريا في حوار الثقافات. ولنا أن نتساءل: هل من الممكن فعلا أن نتحاور مع الآخر، ونحن لا نجيد من اللغات إلا لغة الآباء والأجداد؟ وهل يمكن للترجمات الفورية، التي ترافق أحيانا ملتقيات الحوار، أن تذلّل الصعوبات المتعلّقة بهذه المسألة؟ إننا نرى أنّ من تكفّل بمهمّة محاورة الآخرين السامية، لا بدّ أن يكون متمكّنا تمام التمكّن من لغة أو لغات من يشاركونه الحوار.

---

[13]- من خلال كتابه "مقدمة في علم الاستغراب".

[14]- الاستغراب: دراسة الغرب على كلّ الأصعدة وخاصة الجوانب الفكرية والثقافية.

[15]- لقد أخذ لمصطلح أمّية دلالات جديدة تستجيب إلى مقاييس العصر، ومن مقاييس الأمية الجديدة عدم إتقان اللغة الإنجليزية واستعمال الحاسوب استعمالا جيّدا. فاللغة الأجنبية تمكّننا من معرفة الآخر، وتكنولوجيا المعلومات والاتصال تؤمّن لنا الاتّصال معه، ونحن نقصد في هذا السياق بالأمية، الأمّية الثقافية.

[16]- مازري حداد، دور حوار الأديان في إرساء أسس السلم، عن الحوار الثقافي العربي الأوروبي، ص 293 المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلم.

ولقد تنبّهت المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم[17] لأهمية هذا المدخل الحواري، إيمانا منها بأهمية التنوّع اللغوي؛ فنحن مطالبون بتعلّم وفهم لغات الآخرين، كما أنّنا مطالبون أيضا بالدفاع عن لغتنا العربية وتحسين صورتها عند الآخر، من خلال تطويرها ونشرها في كلّ أنحاء العالم. ولقد أصبح ملموسا أنّ " **الدّفاع عن اللغات هو دفاع عن تعدد الثقافات، وعن نظرات مختلفة إلى العالم، وطرق متنوّعة للحوار مع الآخر**".[18]

نستنتج أنّ العائق المعرفي يمثّل عرقلة جوهرية، تحول أحيانا دون تحقّق الأهداف التي أراد الحوار الثقافي تحقيقها. ومن المفارقات أن الثورة المعرفية المعاصرة، بكلّ آلياتها التقنية والسياسية والاقتصادية، لم توفّق إلى حدّ الآن في تغيير صورتنا في أعين الآخرين، ولا صورة الآخر في أعيننا. و" **رغم ما قدّمته ثقافة حقوق الإنسان والثورة التكنولوجية من وسائل لإنجاح التقارب، ظلّ الحوار الثقافي العربي الغربي كسيحا ومبتور النتائج... وصار الجهل بالآخر أعمق، مع أنّ التلفزيون جعله قريبا ملموسا ومسموعا داخل المخادع**".[19]

ولعلّ ترسّخ هذه الصورة النمطية التي تشوّه حقيقتنا وحقيقتهم في الآن نفسه، تعود بالإضافة إلى الصعوبات المعرفية، إلى تراكمات تاريخية وحواجز نفسية.

ثانيا: الصعوبات التاريخية

لقد أثبتت الأحداث المتعاقبة، هنا وهناك، أن الصورة النمطية التي تأسّست في أذهاننا تجاه الغرب، وفي أذهان الأوروبيين تجاهنا، لم تكن وليدة الساعة، بل هي نتاج تراكمات تاريخية **"لا تسقط بالتقادم، ولا تنتهي صلاحياتها عند ثقافات تتغذّى على عداوة الآخر"**،[20] وهذا يعني أنّ **"هذه الصورة جاهزة على الدّوام لاستخدامها أثناء الأزمات"**[21]. وما يؤكّد هذا، غضب المسلمين على تصريح بابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر، حيث تحوّل تصريحه إلى أزمة ثقافية ودينية وسياسية. وهذا الغضب، كما تجلّى في بعض الرّدود، يستحضر الماضي بحروبه الصليبية، واستعماره الذي جثا على صدور المجتمعات العربية والإسلامية، وعدم إنصاف هذه المجتمعات في القضايا الدولية المصيرية، وخاصة القضية الفلسطينية.

---

[17]- في هذا الإطار شاركت المنظمة في الحوار مع مجموعة الفضاءات اللغوية الثلاثة في مكسيكو (2- 4 أفريل 2003)، حيث صادقت على " بيان مكسيكو حول التنوّع الثقافي" وروما (28-11-2003) وبرشلونة (23- 08- 2004).

[18]- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلم. المرجعيات والانجازات، ص76

[19]- محي الدين اللاذقاني، الذات والآخر ...تحوّلات الصورة النمطية، ص103

[20]- محي الدين اللاذقاني، ن م، ص99

[21]- محي الدين اللاذقاني، ن م، ص99

وقد لا نبالغ، إذا ذهبنا إلى أنّ "الحروب الصليبية" أو"الحروب المقدّسة"، كما يسمّيها أغلب الأوروبيين، مثّلت جزءًا مهمًّا من ذاكرتنا الإسلامية ومخيالنا الجمعي. ولذلك، نجد صورة صلاح الدين الأيّوبي تتجدّد في كلّ عصر وعند كلّ أزمة تحلّ بنا، تهوّن عنّا مصائبنا وضعفنا وعجزنا، وتجدّد فينا نخوة الانتصار على من وفد إلى بلادنا غازيا ومحاربا. ولعلّ كثرة ما أُلّف من كتب، وما أُنتِج من أفلام ومسلسلات تتناول هذه الشخصية، وما لاقته من قبول شعبيّ وحماس جماهيري يؤكّد ما ذهبنا إليه.

وممّا يرسّخ صورة هذه الحروب الدينية، التي لم يكن الدّين في حقيقة الأمر إلاّ عاملا من عواملها، ما يتلقنه التلميذ أو الطالب في المدارس والجامعات من دروس تضخّم الأحداث وتوجّهها لخدمة صدام الحضارات، فيعيش المتعلّم تلك الأحداث ويحلم بتجديدها.

ولقد اعترف أحد أبرز السياسيين الفرنسيين المشاركين في الحوار الثقافي العربي الأوروبي بثقل هذا الموروث الاستعماري؛ فقال: **"ممّا يجدر التذكير به – إحقاقا للحق – أنّ أوروبا، ولا سيّما فرنسا والمملكة المتحدة، تتحمّلان في نظر دعاة الوحدة العربية مسؤولية ثقيلة في التجزئة السياسية...وعن هذا التقسيم ترتبت بعض مشاكل العالم العربي الحالي: دول متنافرة وأقليات بدون دولة أو موزّعة على دول متعددة، توزيع سيء للثروات الجوفية..."**[22]

إنّ الاستعمار، بكلّ تجلّياته العسكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية، كرّس جهل المسلمين وسرق ثرواتهم الطبيعية والثقافية، واستغلّ شبابهم في حروبه الدامية. ورغم مضيّ حقبة زمنية طويلة على خروج الاستعمار من البلدان العربية والإسلامية، فإنّ صورة الآخر المستعمِر مازالت كامنة في مخيّلتنا، تحذّرنا من رجوعه وتذكّرنا بقسوته. وكان يمكن لهذه الصورة أن تتحسّن وتتهذّب لو اعترف كلّ مستعمِر بظلمه لمستعمَراته وأهلها. ولكنّ تجاهل الأمر يزيد من توتّر العلاقات بين العرب المسلمين والغرب. وفي هذا الإطار طالبت الجزائر، التي ضحّت بأكثر من مليون ونصف المليون من الشهداء من أجل تحقيق استقلالها، فرنسا عدّة مرّات بالاعتذار لما ارتكبته من جرائم حرب وإبادة، ولكنّ طلبها قوبل بالصمت والإهمال، وكأنّها بذلك ترفض فرصة ثمينة لإزالة تراكمات، وتذليل صعوبات مازالت تحول دون تواصل حقيقي بين الشرق والغرب، ومازالت تؤجج نار العنف والتطرّف والصراع الحضاري في كلّ بقاع العالم، بما في ذلك فرنسا.

وفي المقابل، مازالت صورة العربي المسلم، الهمجي الكافر، كامنة في المخيال الجمعي الغربي، وعلى ضوء هذه الصورة تأسس نتاج صراع الأوروبيين مع المسلمين، وخاصة مع الأتراك الذين دخلوا أوروبا

[22]- فيليب سوغان، أوروبا والعالم العربي في مواجهة العولمة، وقائع المؤتمر العربي الأوروبي للحوار بين الثقافات، باريس 15-16 يوليو 2002، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس (2002)

وحكموا أجزاء كبيرة منها. وما انتصار شارل مارتال **Charles Martel** على الجيش الإسلامي في واقعة بواتييه **Poitiers** إلاّ انتصار، كما يتجلّى في المخيال الغربي، على الهمجية وزحفها.

ولكن، ألا يمكن إزالة هذه التراكمات التاريخية والنفسية، حتّى نحقّق تعايشا وتواصلا بين كلّ أبناء البشرية؟ هل يمكن أن ننكر **"أنّ الحضارة العربية ساهمت بقوّة في نشأة النزعة الإنسانية العربية"**[23]، كما أسهمت المدنية الغربية الحديثة في بناء العقل العربي المعاصر وتوجيهه؟

إنّ التاريخ الذي يشدّنا إلى الماضي لا خير فيه ولا فائدة من إثارته والتشبث به. وما التاريخ إلاّ " نظر وتحقيق"، على حدّ تعبير عبد الرحمن بن خلدون؛ فلا غاية من قراءة التاريخ إلاّ الاعتبار وأخذ الدروس. ولقد استفدنا من الدروس الماضية، أنّ الإنسانية أرحب من صراع الثقافات، وأنّ الحقيقة تتجاوز حدود الحضارة الواحدة، وتتوزّع بين إبداعات كلّ الثقافات. ولو نظرنا نظرة موضوعية لأحداث الماضي، لاكتشفنا أنّ ما حدث من صراعات وحروب كان نتاجا طبيعيا لمراحل زمنية سابقة، تعكس رغبة الأمم في التوسّع والانتشار. لذلك، يُستحسن أن نقرأ تاريخنا وتاريخ غيرنا قراءة موضوعية نقدية، تمكّننا من تجاوز بعض الصعوبات المتعلّقة بحوار الثقافات، وهي صعوبات متنوّعة، كما أسلفنا القول، يتعلّق بعضها بالجانب التنظيمي.

ثالثا: الصعوبات التنظيمية

لا نقصد في هذا المبحث بالصعوبات التنظيمية ما تعلّق بسياسة البلدان في علاقتها بمواطنيها أو غيرها من الدول، بل نقصد بهذا الاصطلاح معناه الواسع، بداية من السياسات المتّبعة في تنظيم ملتقيات الحوار وندواته، مرورا بالسياسات المتعلّقة بمتابعة قرارات وبيانات تلك الندوات، وصولا إلى تبيّن حقيقة الوضع العالمي الجديد، وعلاقته برهانات حوار الثقافات.

نلاحظ، بكلّ تحمّس وتخوّف، أنّ كثرة ملتقيات الحوار في كلّ المجالات، على المستوى الوطني والعربي والإسلامي والإقليمي والقاري، لم تؤثّر في السلوك الثقافي، وفي عقلية الإنسان العربي والمسلم. وهذا يدفعنا إلى التساؤل: لماذا لم تستطع هذه الحوارات أن تحوّل التنوّع الثقافي إلى سلوك، وتخرج به من مجال الشعارات والبيانات؟ هل يعني ذلك أنّ حوار الثقافات لم يكن في حقيقته سوى حوار مثقّفين، اجتمعوا وتبادلوا الآراء والمجاملات، ثمّ ختموا لقاءهم ببيانات، منتظرين لقاء جديدا؟

إنّ محدودية تأثير الحوارات الثقافية، في المجتمعين العربي الإسلامي والغربي الأوروبي، من أهمّ العراقيل التي حالت ومازالت تحول دون تغيير صورتنا، حتّى يتفهمها الآخر على حقيقتها، وصورة الآخر حتى نتبيّنها على صفائها. ففي الواقع العربي، لا نجد صدى لهذه الإنجازات الحضارية الكبرى في برامج

[23]- فيليب سوغان، ن م، ص 34

التعليم أو وسائل الإعلام أو الخطب الدينية... والأخطر من ذلك، التلاميذ والطلبة والباحثين نادرا ما يكلّفون أنفسهم عناء الاطّلاع على أعمال ندوة من ندوات حوار الثقافات، ممّا يجعلها صوتا لا صدى له. كما أنّ فضائياتنا، على كثرتها وتنوّعها، لا تهتمّ اهتماما مخصوصا بهذه المسألة، بل لعلّنا نجد ما يناقض ذلك: برامج دينية تقليدية تثير نعرات الخلاف والصدام، وتقارير إعلامية تتصيّد الأخبار والبيانات والبيانات المضادة، فتهوّلها وتضخّم من خطورتها. وهذا يدفعنا إلى التعامل بحذر مع ما نشاهده، متسلّحين بنظرة نقدية واعية.

وفي المقابل، يعاني الإنسان الغربي من "أمّية ثقافية" لا تقلّ خطورة عن تلك التي نعيشها نحن عربا ومسلمين. فباستثناء المشاركين في لقاءات الحوار الثقافي المنعقد بين العرب والمسلمين من جهة، وغيرهم من الأمم والثقافات من جهة أخرى، وبعض المختصّين في الحضارة العربية الإسلامية، فإن المواطن الغربي الأوروبي والأمريكي لا علم له بحيثيات ما وقع من حوارات مفيدة وبنّاءة.

ولئن وجدنا أصواتا غربية تنصف العرب والمسلمين، وتعترف بحضارتهم تاريخا وحاضرا، وتدافع عن حقوقهم الثقافية المتمثّلة في إرساء ثقافة عربية إسلامية، تعتزّ بتاريخها المجيد وهويّتها، وتنفتح على الآخر انفتاحا مسؤولا وواعيا، فإنّها لم تستطع أن تتجاوز حدود قاعات المؤتمرات، فهذه " **التحوّلات حوصرت داخل أسوار الجامعات وغيرها من مراكز البحث، ولم تستطع هذه التحوّلات أن تصل إلى أغلبية الشعوب الأوروبية لتؤثّر فيها، لأنّ وسائل الإعلام لم تتبنّاها... فقد كان لتلك الوسائل التي تحرس الصورة النمطية موقف آخر يختلف عن الموقف الأكاديمي**"[24]. والظاهر أنّ وسائل الإعلام من أهمّ أسباب هذه " الأمية الثقافية"، خاصّة أنّ القوى الصهيونية تهيمن على نسبة كبيرة من وسائل الإعلام العالمي، المقروء والمسموع والمرئيّ. ولذلك، نجدها كلّما وقع اختلاف بين منظومتين ثقافيتين إلاّ بادرت بتهويل الأمر وتوسيع مجاله، محوّلة الاختلاف إلى خلاف.

ولنا أن ننبّه، ونحن نتحدّث عن صعوبات تنظيمية، أنّ عدم التنسيق بين ما بُذل من مجهودات في مجال حوار الثقافات يعدّ معرقلا حقيقيا من معرقلات الحوار؛ فالملتقيات على كثرتها وبكلّ أشكالها لا تستفيد من بعضها البعض، ولا يعتبر اللاحق من تجربة السابق. فنادرا ما نجد محاورا يذكّر بعمل أُنجِز في إطار آخر. وهذا الخلل التنظيمي يجعل من الحوارات بين ثقافتنا العربية الإسلامية وبقية الثقافات أعمالا مشتتة ومتقطّعة، لا تأثير لها في أصحاب القرار والسلوكيات الاجتماعية.

ولنا أن نتساءل: متى يتحوّل حوار الثقافات إلى ثقافة حوار نتعلّمها في مدارسنا وجامعاتنا. هل نستطيع فعلا، من خلال ما نتعلّمه، أن نتمثّل صورة الآخر الحقيقية بعيدا عن الخرافة والمبالغات. إنّنا نلاحظ وبكلّ

[24]- محي الدين اللاذقاني، الذات والآخر ...ن م، ص 100

أسف، أنّنا مازلنا نرفض النظر إلى عيوبنا من خلال الآخر، ونتحاشى قراءة تاريخه ولغته ودينه، والحال أن ذلك يوضّح المعالم، ويسهم في وعي الذات والآخر في نفس الوقت.

وعلى سبيل المقارنة، يمكن أن نعرّج على تجربة المجلس الأوروبي في هذا المجال، حيث أقرّ برنامجا تربويا جديدا "يقوم على الوصل بين موضوع التربية التثاقفية وموضوع الحوار بين الأديان". ويهدف هذا البرنامج إلى "إكساب الشباب الغربي القدرة على المشاركة في نقاش خاصّ أو عمومي، مشاركة متحضّرة حول مسألة ذات علاقة بالدين".[25]

وعلى هذا الأساس، لا حرج أن نتعلّم احترام الآخرين والاعتراف بخصوصياتهم الثقافية، دون عقدة نقص تشدّنا إلى الوراء أو عقدة تفوّق موهومة، ترمي بنا في عالم الخيال والأسطورة.

2- آفاق حوار الثقافات

لم نقصد البتة، من ذكرنا لبعض الصعوبات المتعلّقة بالحوار بين الثقافات، وخاصة بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية الأوروبية، تعطيل مسار الحوار أو تعسيره، بل أردنا أن نقف على أسس واقعية تجنّبنا التحمّس المبالغ فيه. إنّ شبابنا اليوم في أشدّ الحاجة إلى معرفة تجارب السابقين في حوار الثقافات والصعوبات المتعلّقة بها، علّه إن واصل الحوار تجنّب النقائص وتسلّح بآليات معرفية ومنهجية، تحقق التواصل على أسس سليمة وعادلة.

وسنحاول، في هذا الجزء الثاني من البحث، أن نستثمر ما جاء في الجزء الأوّل منه، ونقترح مجموعة من المداخل نراها أساسية في إرساء حوار ثقافي متوازن، يتجنّب التصنّع والمجاملات. وهذا المنهج يختزل أبعادا تربوية، فنحن صغارا وكبارا في حاجة إلى تعلّم فنّ الحوار وتعليمه لغيرنا، حتّى يصبح سلوكا وثقافة وأصلا ثابتا من أصول منظومتنا الفكرية والحضارية.

*** ثقافة أم ثقافات: الثقافة جمع في صيغة المفرد**

يرى رافضو الحوار من عرب مسلمين وغربيين، أن الثقافة الغربية ثقافة مغلقة، تعكس تطوّر الإنسان الأوروبي الفكري والاقتصادي والتكنولوجي. لذلك، مازال بعض المتعصّبين من المسلمين يقرنون بين الغرب والكفر، ويصلون بين ما ينتجه، والبدع إلى درجة تحريم استعمال لغاتهم ولباسهم، وتدريس أفكارهم

[25]- عن جايمس وامبرلي (رئيس قسم السياسة التربوية بالمجلس الأوروبي): التربية التثاقفية في خدمة الحوار بين الأديان: الحوار العربي الأوروبي، وقائع المؤتمر العربي الأوروبي للحوار بين الثقافات، باريس 15-16 يوليو 2002، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس (2002)

وفلسفاتهم. وفي المقابل، نجد بعض الغربيين يتوهّمون أنّ الغرب لم يستفد من غيره، فأسّسوا حداثتهم اعتمادا فقط على التراث اليونانيّ ومجهود رواد النهضة والتنوير. وكلا الفريقين يعيش مغالطة ليس بعدها مغالطة.

ولقد أقرّ بعض المستشرقين بأنّ الحضارة الغربية قامت أساسا على أنقاض الحضارات السابقة لها، وخاصة الحضارة العربية الإسلامية التي استطاعت بدورها أن تستوعب حضارات اليونان ومصر وبابل وفارس... فتاريخ الثقافات تاريخ تواصل وتناوب، وعلى هذا الأساس بنى جورج سارتون نظريته في تاريخ العلوم، فقسّمه إلى عصور وعنون كلّ عصر بأهمّ أعلامه المبدعين. ورأى أن الحقبة الممتدّة بين 750 و1100 ميلادية هي عصر علماء العرب، من قبيل جابر بن حيان والخوارزمي والبيروني وابن الهيثم...

أمّا ما يُطلق عليه اليوم "الحضارة الغربية"، فليس سوى حصيلة ثقافات متعددة، أسهمت بطريقة أو بأخرى في بلورة معالمها. وكما أنّنا لا نجد حرجا في استعمال ما تنتجه الحضارة المعاصرة من تقنيات وأدوية ونظم إدارة ومناهج تعليمية وبنوك معلومات وشبكات... فإنّنا لا يجب أن نتحرّج حين نتعلّم اللغات الأجنبية والثقافات الأوروبية والديانات الأخرى التي تسهم مع الإسلام، كلّ من موقعه في وضع معالم الطريق: طريق خلاص البشرية وانعتاقها.

وكما نلاحظ، فإنّ مفهوم الهوية الصافية الأصيلة يستحق المراجعة والتدبير، لأنّه يتنافى مع حركية التاريخ ومسيرة الإنسان؛ فالأصالة الحقيقية هي التي تنفتح على الآخر فتتعايش معه، باعتماد منهج نقديّ مسؤول، قادر على التمييز بين الغثّ والسمين. وما الهوية إلاّ وعي بالذات في علاقته بالآخر.

*** وعي الذات: من أجل بناء شخصية متماسكة**

لقد تأكّد لنا، من خلال بعض ما قُدِّم من مداخلات في إطار حوار الثقافات، أنّنا مازلنا لم نتعرّف بعد على ذاتنا، بما هي تراث بديع متنوّع وحاضر تعس متأزّم. ولنا أن نتساءل مَن مِن شبابنا اليوم- تلاميذ وطلبة وغيرهم - يكلّف نفسه عناء البحث في أعماق تراثنا والوقوف عند محطّاته المضيئة الكبرى؟ وبماذا نفسّر إهمال عشرات الآلاف من المخطوطات العربية المبعثرة هنا وهناك؟ وهل أسهم العزوف عن مطالعة الكتب، أمام هيمنة الوسائل السمعية البصرية، في تدعيم هذه الأمّية؟

إنّ ما نعيشه اليوم من جهل بثقافتنا وحاضرنا، ترك فراغا معرفيا وروحيا تمّ استغلاله من قبل من يتوهمون امتلاك ناصية الثقافة الإسلامية وحقيقتها، فأثّروا في شبابنا متسلّحين ببهرجة الفضائيات وسحر وسائل الاتصال الحديثة. وأصبحت المعارف تكاد تقتصر على ما تتكرّم به هذه الفضائيات من برامج بسيطة وساذجة، وما يستمعون إليه من تحذيرات وتوجيهات وفتاوى متناقضة. وينتج عن ذلك فهم بسيط وساذج للدين وممارسات غريبة تتغطّى بلبوس العقيدة.

وعلى هذا الأساس، نرى أنّ الإقبال على معرفة الثقافة العربية الإسلامية وتمثّلها بكلّ تفريعاتها وعلومها وتوجّهاتها، يجنّبنا جهل الذات ويحررنا من وساطة الوسطاء ووصايتهم. وهذه المعرفة لا بدّ أن تتسلّح بمنهج عقلاني نقدي، بعيد عن المدح والتعظيم المفرط والوقوف على أطلال الماضي. وممّا يؤسف له أن أهمّ المخطوطات تمّ اكتشافها وجمعها وتحقيقها من قبل مستشرقين. والحال أنّنا أقرب إلى هذه المخطوطات وأكثر فهما لها، فكيف نبرّر هذا الكسل الثقافي في زمن تعيش فيه ثقافتنا العربية الإسلامية أزمة على كلّ المستويات: أزمة في الأداء اللغوي وأزمة في المرجعيات وأزمة في الحضور على مستوى المشهد الثقافي العالمي...

ولعلّ السبب المباشر في وجود هذه الأزمة، يكمن في هيمنة ثقافات دون أخرى، في إطار النظام العالمي الجديد وعولمة الثقافة. وبذلك أصبح الوعي بثقافتنا العربية الإسلامية ضرورة لا مناص منها؛ وهذا الوعي لن يتحقّق بالانغلاق على الذات والتعصّب، ممّا يجعل معرفة الآخر مسلكا ضروريا لترسيخ الوعي بالذات.

*** معرفة الآخر: نافذة للتواصل المسؤول**

لقد تأكد لدينا، من خلال ما ترسّخ في مخيالنا الجماعيّ من صورة نمطية للآخر، أن معرفتنا بمن يخالفنا الثقافة والمعتقد معرفة خرافية لا علاقة لها بحقيقة الأمور. لذلك، لا بد من التعامل مع الآخر كما يريد هو أن يكون، لا كما نتصوره نحن. فلا حرج أن نقبل على تعلّم اللغات الأجنبية، وأن نتبحّر في دلالاتها الثقافية والحضارية.

إنّ اللّغات التي نتعلّمها في المدارس ليست فقط مجرّد أدوات تواصل، بل هي منظومات فكرية ووسائل ناجعة للتعرّف على بقية الثقافات والتعريف بثقافتنا العربية الإسلامية. وهكذا يتّضح أن شبابَنا الذين تعلّموا لغة أجنبية أو أكثر، يضطلعون بمسؤولية جسيمة في فهم ثقافة اللغة التي تعلّموها وإفهامنا إيّاها، كما أنّهم مطالبون بتقديم صورة بديلة عن صورتنا كما ترسّخت في المخيال الغربي الأوروبي، مستثمرين الثورة المعلوماتية المعاصرة، وما توفّره من آليات تواصل وتبادل للآراء.

*** الثورة المعلوماتية والتعريف بالذات**

لا يكفي أن نفهم ذاتنا، بل لا بدّ لنا أن نعرّف بها تعريفا يليق بمقامها، ويعكس حقيقتها التي شوهها المخيال الغربي بكلّ تراكماته التاريخية والنفسية، وزاد في تشويهها من قدّموا مِن أبناء أمّتنا ثقافتنا على أنها ثقافة عنف وقتل وصراع.

ولنا أن ننبّه، أنّ استعمالنا لشبكة الإنترنت وما توفّره من معطيات متنوّعة ومعلومات غزيرة، مازال يفتقد إلى النضج الثقافي المسؤول. ولقد أثبتت عدّة دراسات مختصّة بأن أغلب مستعملي الشبكة العنكبوتية من الشباب العربي والمسلم، يكرّسون جهودهم للدردشة السخيفة المفرغة من كلّ معنى، وتصفّح المواقع الجنسية.

وهذا استنزاف لطاقات بشرية ومالية كان يمكن أن تُوظَّف في تقريب وجهات النظر المتباينة، والتعريف بثقافتنا بكلّ أصنافها ورموزها.

لقد اقترن مفهوم الإنترنت، منذ ظهوره، بمفهوم الطرق السريعة للمعلومات، ولا معنى لهذا المفهوم إذا لم نجد اتّجاهين متقابلين، يعبّران عن حركية دائمة قوامها الأخذ والعطاء؛ أي تصدير المعلومات وتوريدها. ولنا أن نتساءل: إلى متى ستتواصل ثقافة الاستهلاك السلبي والتوريد الساذج الذي لا يقلّ خطورة عن توريد بقية البضائع واستهلاكها دون روية أو تدبّر؟

إنّ التعريف بهويّتنا وتراثنا وبصورتنا الحقيقية يكون، فحسب، بالتوظيف الناضج والمسؤول لثورة الاتصال التي نشهدها؛ وهذا التوظيف الملتزم بمشاغل ثقافتنا وهمومها، لا يمكن أن يكون إلاّ بإنتاج المعلومات وتصنيعها وتنظيمها، ثمّ نشرها وتسويقها والدخول في عالم التصدير: تصدير المعطيات الحقيقية المتعلّقة بحضارتنا وواقعنا. وباستثناء بعض المواقع الجدية، فإنّ أغلب المحتويات الرقمية المتاحة بالشبكة لا تستحقّ العرض أو النشر، وتؤكّد الصورة النمطية التي تأسست في المخيال الغربي تجاهنا: صورة العربي الكسول الباحث دائما على اللهو والأوهام.

لذلك، نشجّع كلّ طالب ومثقّف وباحث أن يصمم موقع ويب، ويحاول من خلاله أن يعرّف بجانب من جوانب ثقافتنا العربية الإسلامية المتنوّعة، مستعملا ما يتقِن من لغات وتقنيات. كما يمكن توظيف الدردشات والمنتديات، والتراسل الإلكتروني في التواصل الحضاري الملتزم، والتعرّف على الآخر، وتقديم صورة أصيلة لثقافتنا بما هي ثقافة تنوّع واختلاف، كما بيّنا ذلك في مطلع هذه الدراسة.

*** الحوار الثقافي وعي وسلوك**

إنّ الحوار الثقافي، ليس مجرّد شعار نردّده أو لافتة نحملها عند الأزمات أو خضوعا لبعض الضغوطات، ولكنّه سلوك حضاريّ نعيشه في البيت والمدرسة والمجتمع. ولقد أدركت المجتمعات الغربية أنّه لا فائدة في حوار بين حضارات، إذا لم ينزل ذلك الحوار حيّز الواقع والممارسة. ولعلّ ما دفعهم في هذا المسار، تنامي أشكال العنف ضدّ الأوروبيين والأمريكيين على وجه الخصوص، وتعدد حالات الاغتيال والاختطاف، كذلك تفاقمت مشكلة الأقليات المسلمة في أوروبا. ولقد لاحظ الأوروبيون صعوبة اندماج المسلمين بكلّ أجيالهم في المجتمعات الغربية. ونتج عن ذلك حالات من التوتر والفتن أضرّت بالبلاد ومصالحها الاقتصادية والسياسية، وتعالت أصوات بعض المتعصّبين المتطرّفين تدعو إلى تهجير المسلمين وتخليص البلاد من شرّهم. كلّ ذلك ناتج عن عدم تحوّل الحوار الثقافي إلى سلوك حياتيّ يمارسه الأفراد والجماعات.

ونظرا لكثرة المخاطر الناتجة عن هذا التصادم والصراع، بحث الغربيون عن حلول تصل ما كاد أن ينفصل، وتقرّب بين وجهات نظرٍ أصبحت بفعل مجموعة من التراكمات التاريخية والنفسية متباينة كلّ التباين.

وبالإضافة إلى تشجيع المعتدلين من المنظومتين الإسلامية والغربية على التحاور والتأثير في المشهد الثقافي الغربي والعالمي، نجد بوادر تفهّم لقضايا المهاجرين، من خلال ما أنجِز من بحوث ميدانية ودراسات واستطلاعات.

من جهة أخرى نجد إقبالا على دراسة الحضارة الإسلامية واللغة العربية، وأصبحنا نجد في أغلب الجامعات الأوروبية أقساما تهتمّ بالدراسات الإسلامية والعربية، وأقساما أخرى تبحث في الواقع العربي ومشاكله الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

ولكم شدّ انتباهي، وأنا أتصفّح بعض مواقع الويب، خبرا مفاده أن مؤسّسة نمساوية متخصصة في الإعلانات تسمى بـ"غيفيستا"، قامت[26] بعرض عدد كبير من اللوحات الإعلانية في أماكن مختلفة من النمسا، تحتوي على حديث نبوي نصّه " **خير الناس أنفعهم للناس**"[27]. هذا الخبر على بساطته مكتنز بالدلالات، لأنّه يعكس رغبة فعلية في تأسيس سلوك ثقافي يقوم على الحوار.

إنّنا مطالبون من جهتنا، كلّ بحسب موقعه وتخصّصه، أن نحاسب أنفسنا وأن نسلك سلوكا يقوم أساسا على احترام الآخر، مهما كان معتقده أو انتماؤه الجغرافي والثقافيّ. وهذا السلوك لن يتحقّق إلاّ بتجاوز التعصّب، ووهم امتلاك الحقائق المطلقة، وبالتخلّص من عقدة الاستعلاء المزعومة، التي تقوم أساسا على الذوبان في الماضي وتهميش الحاضر بكلّ قضاياه ومشاكله.

*** حوار بين الثقافات وبعد**

إنّ السؤال الذي يشغلنا، ونحن نتناول مسألة على درجة كبيرة من الخطورة تتعلّق بحوار الثقافات، يمسّ مدى الحاجة إلى هذا الحوار، ومدى مشروعية الحديث عنه، والغاية من إثارة قضايا تتعلّق بصعوبات الحوار بين الثقافات وآفاقه. هل يمكن للعالم أن يأخذ شكلا آخر بفضل مشاريع الحوار، فتختفي الصور النمطية التقليدية، وتُعوَّض بصور أخرى أكثر واقعية ومنطقية؟ هل يمكن لنا أن نتخلّص من عقدتي الاستعلاء والنقص المتحكمتين في نظرتنا إلى الغرب، وأن نتعامل مع الآخر معاملة الأنداد، أم أنّ واقعنا المتخلّف يمنعنا من ذلك، لأنّنا مصابون بداء مزمن: داء وعي المغلوب بحتمية هيمنة الغالب؟

كلّ هذه الأسئلة وغيرها ممّا لم نطرح، ستكون بمثابة صوت خفيّ نستحضره كلّما تعلّق الأمر بربط صداقة مع من يخالفنا الثقافة والدين، أو باستهلاك سلعة صنّعها الآخر، أو باستعمال لغته تعليما أو تعلّما أو أداءً، لوظيفة مهمّة في المجتمع... وغير هذه الحالات كثيرة تحتّم علينا التعامل مع الآخرين وثقافتهم.

[26]- موّل هذه الحملة الإعلانية الكبيرة الاتحاد النمساوي في فيينا.

[27]- للتعمّق يمكن تصفّح الموقع التالي http://www.middle-east-online.com/?id=42611

إن اقتحام هذا المجال، مجال الحوار، مهما كان نوعه وميدانه، يتطلّب بعض الشجاعة وكثيرا من العلم والمعرفة. شجاعة تجعلنا نرى أنفسنا على حقيقتنا، بكلّ نقائصنا وعيوبنا ومعرفة تمكّننا من وعي ذواتنا والآخرين في الآن نفسه. ولا يمكن أن نظفر بهذه الحقيقة كاملة، إلاّ إذا أدركنا أنّ الحقيقة حقائق، وأن الثقافة ثقافات متنوّعة ومتميّزة من حيث مرجعياتها الفكرية وتجلياتها الإبداعية؛ فكلّ ثقافة تمثّل وجها من وجوه الإبداع البشري، وهي في حاجة، بطريقة أو بأخرى، إلى بقية الوجوه الثقافية.

خاتمة:

نخلص في خاتمة هذا البحث إلى القول، إنّ معاملة الثقافة على أساس أنّها واحد غير قابل للتجزؤ، يعدّ ضربا من المغالطة والوهم؛ فمفاهيم الثقافة لا حصر لها، تختلف باختلاف المرجعيات، وأشكالها متنوّعة، تختلف باختلاف الحضارات والأديان واللغات...وهذا يجعلنا نعترف بأن حضارتنا العربية الإسلامية، على كثرة خصالها وإنجازاتها، تعدّ وجها من وجوه الحضارة الإنسانية، تؤثّر فيها وتتأثّر بها. ولا بد لنا أن نتمثّل حوار الثقافات في إطار المستجدّات العالمية، حيث أصبحت العولمة حقيقة لا يمكن أن نتجاهلها، وهي تمثّل هذه العولمة على كلّ مستوياتها، خاصة في بعدها الثقافي سلاحا ذا بعدين. فهي من جهة تحمل تصوّرات المجتمعات الرأسمالية الغنية، وتعمل على فرض نوعٍ جديدٍ من الثقافة. ولكنّها من جهة أخرى توفّر آليات للتعريف بالذات، وفرض الثقافة العربية الإسلامية على المستوى العالمي. وهذا الأمل لن يتحقق إلاّ بالعمل والاجتهاد وتجاوز السلوك الاستهلاكي العقيم.

MominounWithoutBorders
@ Mominoun_sm
Mominoun

الرباط – المملكة المغربية
ص.ب: 10569
هاتف: 00212537779954
فاكس: 00212537778827
info@mominoun.com
www.mominoun.com